مجتمعنا فى العيد

للدكتور سيد نوفل

مدير السكرتارية الفنية بوزارة المعارف

تقوم المجتمع المصرى طبقتان كبيرتان تتفرع منهما طبقات كثيرة ، ولكل طبقة طرائق رسمتها اجتماعية خاصة ، ولكن هذه الطبقات جميعا تجمعها الروح المصرية ، وما تسبغه على كل مصرى من ألوان متشابهة فى الحياة .

ومثل هذه الطبقات مثل فروع متشابهة ، مثل الشجرة الكبيرة تتميز فروعها عادة فلكل فرع مميزاته وخصائصه ، واستقامته أو التوائه ، وكبره أو صغره ، لكن هذه الفروع الكثيرة تتشابه فيما بينها وتجمع مميزات الشجرة الكبيرة ، من الشكل ، والثمر ، والخصائص النباتية .

والطبقتان الكبيرتان التى نقصد اليهما ، هما طبقة المدنيين ، وطبقة الريفيين .

فالمدنيون فى العيد ينزعون إلى ألوان من الترفيه والرياضة ، والريفيون ينزعون إلى ألوان أخرى . بل قد يصح القول بأن المدنيين يتجهون فى العيد نحو الريف ، وأن الريفيين يتجهون فى العيد نحو المدينة .

ومهما كان الأمر فالمدنيون طبقات ، والريفيون كذلك . ففى المدينة يشترك عظماء الريف من أنحاء الوطن ، يتجهون صباح العيد إلى الجالس على العرش ، مليك البلاد المحبوب ، فيؤدون واجب التهنئة ، ويرفعون آيات الولاء والاخلاص .

[illegible]

وأن أمة تترجم نزعا [illegible] ويرفرف عليها تاج مفرد [illegible] لحقيقة بالمجد وجديرة بالعظمة والخلود .

ويعود هؤلاء العظماء إلى منازلهم بعد أن تزودوا بهذا الزاد الوطنى [illegible] المؤتلفين [illegible] ويتبادلون مع الوافدين عليهم أحاديث المسرة ، ويتذاكرون معهم حوادث الساعة . ويفيضون من روحهم التى ارتشفت بالمعانى الملكية على زائريهم ، وهؤلاء يفيضون على غيرهم . وهكذا يكون العيد ميدانا من ميادين الخدمة الوطنية والخير العام .

وبعد هذا يتجه الكثير منهم الى الريف ، يريدون معنى تبديل الحياة ، ونسيان بيئة العمل ، كى يتهيئوا بعد العيد لعمل جديد ، ينفعون به وطنهم فى حاضره ومستقبله .

وهم حين يذهبون إلى الريف يجتمع بهم القرويون الذين يشعرون بالسعادة البريئة فى هذا الاجتماع ، وترتاح نفوسهم برؤية هؤلاء الذين يملأون السمع والبصر ، ويتذكرون أيامهم الخوالى التى نشأوا فيها بينهم ، ودرجوا على قريتهم ، فلا يثير ذلك فى نفوسهم حقدا ، وإنما يبعث فخرا بهذه القرية الخصيبة الجواد ، وبهذه البيئة الصغيرة المعطاء التى أخرجت رجلا أو رجالا يملأ ذكرهم عاصمة البلاد بل غيرها من عواصم العالم .

ومثل سعادتهم بهذا الاجتماع مثل سعادة الفقراء القرويين فى قصة " الأمير السعيد " لأوسكار وايلد .

فهؤلاء الفقراء كانوا إذا مروا بتمثال الأمير السعيد يتسامى رفعة وتزينه صفائح الذهب . وتتألق فى عينيه الأحجار الكريمة ، إذا رأوا كل هذه المظاهر الجميلة الخلابة صاحوا فرحين : إنا سعداء لأن فى هذه الدنيا سعداء .

وقد صدقوا فليس أسعد من انسان يبرأ من الحقد والضغينة ، ويجد فى الحياة ألوانا من السعادة ، وفى مظاهرها طوائف من المسرات ، ويستطيع أن يجد فى كل رائع جميل ، سواء أكان فى حيازته أم فى حيازة غيره ، معنى مفرحا ، وشيئا سارا .

وأى شقاء أعظم من شقاء ذلك الحسود الذى ينطوى على الألم ، وينكفىء على الحزن ، حين يرى أو يتصور غيره أسعد منه لمعنى تافه من معانى الحياة التافهة ، أو لعرض زائل من أعراضها .

إن المرء هو الذى يسعد نفسه وهو الذى يشقيها ، يسعدها حين يتصور الحياة وان حفت بها المتاعب ، باقة من الزهر ، ويشقيها حين يتصور الحياة ، وان اكتنفها المسرات ، مهدا من الشوك .

ولو درى لعلم أن أعراض الحياة ، ومظاهرها البراقة ، لاتكسب صاحبها سعادة ولا سعادة ، بل لعلها تكسب نقيضها من القلق والشقاء ، وأن بصر الانسان كلما وصل الى أفق يبغى الوصول اليه ، تفتح أمامه أفق جديد أوسع مدى وأبعد غاية . وهكذا يظل طوال حياته فى سفر دائم وتطلع مستمر ، لايوقفهما ما يبلغه من شؤون الحياة ، وإنما يسرع بهما الخطى ، ويزيد فى مشقتهما .

إنما السعادة الحقة فى أن يحسن كل امرئ عمله ، وأن يؤدى واجبه الوطنى على أتم وجه ، وأن يسعد أهله وأسرته ، وألا يغتال مال الغير بغير حق ، وأن يكون نزيها فى تصرفاته ، عدلا فى حكمه ، جريئا فى إبداء رأيه .

فالفضيلة تسعد صاحبها ، إذ يرتاح اليها ضميره ، وتسكن نفسه ، والرذيلة تشقى ، إذ يمقتها ضميره ، وتثور عليها روحه ..

والضمير والنفس هما أساس السعادة والشقاء دائما .

ويمضى فريق العظماء العيد بين الريفيين ، متمتعين بهواء الريف النقى ، وهدوئه المسعد ، وبعده عن ضوضاء المدينة التى ترهق الأعضاء ، وأنوارها التى تكفل البصر ، وعجاجها الذى تضيق به النفس .

ثم يعودون إلى المدينة بعد جازتهم ليتهيأوا للعمل من جديد ، وقد ألم بهم حنين إلى المدينة التى سرت معانيها فى دمائهم ، وأشربت بها قلوبهم .

وهناك طائفة أخرى هى طائفة الأغنياء المتبطلين الذين ورثوا الغنى ولم يرثوا العمل . وهؤلاء يتزعون فى العيد إلى ألوان من الاسراف فى المجانة والعبث ، أو ينغمسون فى الكسل انغماسا أو يضيقون بهذه الفرصة التى تهيئ للعامة اشتراكا فى معانيهم من ناحية العموم ، وإن اختلفت معانى كل طائفة من ناحية الخصوص .

وطائفة ثالثة تضيق بالمجتمع ، وتتوفر على ألوان من الحياة الفكرية والذهنية . وهؤلاء يفرون فى العيد فرارا ويلوذون بأكناف مكان قصى يقضون فيه العيد ، وينجون من ضيق المقابلات وأسر الاجتماع .

أما طائفة العمال والصناع . فهؤلاء يفتحون قلوبهم للعيد ، ويشعرون فيه بأجمل المعانى وأكرم الشعور ويتمتعون به خير متاع .

لقد تعبوا حق لهم أن يستريحوا ، لقد جهدوا حق لهم أن ينعموا . انهم يأكلون ويشربون ، ثم يطلقون حناجرهم بالهتاف والغناء ، ويتزودون بمزيد من الطعام يحملونه إلى الحدائق ، كى ينطلقوا بين الزهور والشجر ، ويتحرروا من كل عرف ، ويسيروا على سجيتهم يرقص منهم من شاء ، ويغنى من أراد ، ويصنع كل ما يقوده اليه الهوى . ويطمئن المرح ويسعدون فى العيد أعظم السعادة .

وجملة الريفيين يسلكون فى العيد مسلكا متشابها ، وإن وجدت فيه طبقات كذلك .

إن عامتهم يستيقظون فى الصباح الباكر ، فتتجه نفوسهم المؤمنة إلى الله يؤدون الفريضة ، ثم يجلسون مكبرين مهللين ، مشاركين لإخوانهم الحجيج فى هتافاتهم الدينية ، وذاكرين أيام الله على دينه وصاحب رسالته ، إذ أعز جنده ، وهزم الكفار وحده ، وأتم دينه ، وأكمل نعمته .

ثم يخرجون من الصلاة ليزوروا أهلهم وأصدقاءهم الذين رحلوا عنهم . وبعد ذلك يبسطون موائدهم أمام المنازل ، أو فى بيت كبير لأسرة . حتى إذا فرغوا من الطعام أقبل عليهم العمدة ومشايخ البلد مهنئين مسلمين .

وبعد قليل يعرجمهم بالعمدة والمشايخ رد [illegible] لواجب [illegible] ثم ينساب كل إلى منازل أهله وأقاربه وأصدقائه يتبادلون المسرة والود .

وإذا كان اليوم الثاني اتجهت كثرتهم نحو المدينة كي يشاطروا أهلها أفراحهم [illegible] تبهرهم ، وإن لم تترك في نفوسهم حفيظة ولا [illegible] .

هذا طرف من الصور [illegible] في مجتمع في العيد ، وقد نرى طائفة [illegible] أمثالا لها .

وإن السعيد من استقبل العيد بقلب فرح ، ونفس مطمئنة ، وطرح عنه المتاعب ، وألقى عن عاتقه المشقات ، ثم أقبل على العيد [illegible] ويسعد ويسعد [illegible] معه ، ويأخذ من الراحة أعظم قسط يمكنه من استئناف العمل بعد العيد ، ومواصلة الجهاد في الحياة .

أسعدنا الله جميعا ، وكتب لهذا الوطن التوفيق والمجد في ظل عاهله العظيم فاروق الأول .

دكتور

سيد [illegible]

للإمام علي كرم الله وجهه

[illegible]

في [illegible] عيش [illegible] .